# مستقبل الإسلام

بقلم الأستاذ

## طه عبد الباقى سرور

أصدرت المطابع الأوروبية كتابا باسم « الحساب الأخير » تحدث فيه مؤلفه « جوستاف يونج » عن الحساب الأخير الذى اقترب . . . الحساب الأخير الذى سيتولى القيام به العالم الإسلامى ضد أوروبا الإستعمارية ، والصهيونية التى تحاكيها وتمشى فى ركابها .

وخلاصته . أن العالم الإسلامى قد أفلت من قبضة الموت ! . . . الموت الذى أعده ونسق أكمابه الإستعمار الأوروبى ، وأن العالم الإسلامى قد ابتدأت العافية تدب فى أوصاله ، وأنه يسرع الخطا إلى الشباب ، إلى القوة من جديد ليصفى حسابه مع الإستعمار والصهيونية ، وهو حساب رهيب ، ولهذا يسميه مؤلف الكتاب « الحساب الأخير » .

وتحت عنوان : « الصناعات الفنية والخطيئة » نشر الوجودى المسيحى « جبريل مرسل » بحثا قال فيه :

« إن حرب اللاويافانات — وهو حيوان أسطورى هائل — قد أصابها من الشمول ماجعلها بمثابة جريمة عامة ضد الحياة .

وإن القنبلة الذرية قد ارتفعت بالتهديد بالفناء إلى الكوكب الأرضى كافة ؟ . . أجل لايزال ثمة احتجاج ينطلق فى استحياء هنا وهناك باسم الشفقة على الحياة

لكن الصناعة الفنية التى لا ترحم ، يرى أصحابها الصفوة أن هذه الشفقة على الحياة ، صارت أمراً تتضاءل أهميته يوما بعد يوم ، حتى ليمكن إهماله ، ولهذا فقد دخلنا فعلا — آمنا بذلك أو لم نؤمن — مادامت الإنسانية أصبحت على أهبة الإنتحار ، نقول : إننا دخلنا فعلا فى عصر نشورى .

هذا من حيث المظهر الخارجى ، ومن حيث الباطن ، إن كنا ممن يحتملون من غير تسليم بذلك ، سماع صرخة العدالة من حناجر البائسين الذين احتوشت عليهم المصانع الحاشدة ، فأوقعتهم فى مضايق مشابكها . هناك نستشعر لمس خطر الخلاص يقبل علينا من أمم أخرى خلف أسوار الحياة الأوربية .

وللفيلسوف الألمانى الكبير شبلنجر كتابا باسم « أفول الغرب » قرر فيه أن الحضارة الأوربية طغت فيها المادية على الروح ، وهذا بداية النهاية لها ، رغم ما تخدع به البصر ، من التقدم العمرانى والمادى .

ثم يقول : « وما مرحلة الحضارة الحالية إلا غمرة المدينة المضللة ببهرجها الذى يستر فقرها الروحى ، فهى سائرة بخطى واسعة إلى الفناء المحتوم الذى أصاب الحضارات السابقة ، تلك سنة الوجود ولا راد لأمر الله .

ثم يقول : إن الحضارة دورات فلكية ، تغرب هنا لتشرق هناك ، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق فى أروع صورة ، هى حضارة الإسلام ، الذى يملك اليوم أقوى روحانية عالمية نقية » .

والمتتبع للمكتبة الأوربية ، يرى سيلا من الكتب المتلاحقة ، تبكى حضارة أوربا الغارقة فى اللهب المنبعث من مصانعها ومعاملها ، وترثى قلبها الذى أوشك على الهموم ، بعد أن جحد وألحد ، وابتعد عن رب الحياة وخالقها .

وفى الوقت نفسه ، تتحدث هذه الكتب عن الاسلام فى حسرة ومرارة ،

الاسلام الذى أوشك أن يصفى حسابه مع الإستعمار ، حسابه الأخير الحاسم ، كما يقول « جوستاف يونج » .

الاسلام الذى سينبثق من أوساطه ، الانسان الكامل ، هاتفا بصوت قاض رهيب ، ناطقاً بالحكم الفاصل . كما تقول المجلة الفرنسية « الله حى » .

الاسلام الذى أوشكت حضارته على الشروق لأنه يملك وحده ، أعظم القوى الروحية المنقذة كما يقول شبلنجر .

ذلك هو الغد الذى ينتظم الاسلام ، وتلك هى نظرة المفكرين الأوربيين إلى قوته وروحانيته ووثبته العالمية القادمة .

وليس معنى استشراف العالم إلينا ، وترقبة لاشرافنا المنقذ ، أن يطيش الميزان فى أيدينا .

إن من يرقب نهضتنا ، ويتنبأ بغدنا ، إنما يرصد الأفق الاسلامى الأعلى فيلمس الطاقات الروحية الهائلة المنبثقة من لحن قرآننا ، ويحس وهج البأس الشديد المدخر فى عقيدتنا .

إن الوعى الإسلامى اليوم فى يقظة متحركة ، فقد أجاز العالم الإسلامى مرحلة الموت ، ولكنها يقظة مهتزة ، تقعثر فى كل خطوة بفجوات شق لحدها ، الجهل والضعف ، وتصطدم فى كل وثبة بعوائق شامخة كالأسوار أقامتها تقاليد جاهلية ، وعادات بدائية ، وظلال حضارة مادية شهوانية ، وتيار عام ، انحرف وطال انحرافه عن روح الإسلام وهداه .

فكل مسلم بيننا يتحدث عن الإسلام ، وعن نهضته ، ويحلم بغده ، ويتمنى على الله الأمانى ، أن يسود ويهمن وهو لا يفقه هذا الإسلام ولا يبذل جهداً صادقاً فى نصرته .

ولأنه قد امتلأ عقلا وقلباً ووجداناً ، بما يقذف فى تفكيره كل يوم وكل ساعة من الأقلام والألسن ، وغير الأقلام والألسن من أدوات التعبير والإبانة ، من أن الأديان حسب المرء منها عبادات وأخلاقيات وسلوك فردى .

فإذا صلى وزكا وحج وصام ، وسبح الله وذكره آلافاً وآلافاً ؛ فهو عبد مؤمن تقى نقى ، له جنات عرضها السموات والأرض ، وحور عين يملأن الآفاق .

فإذا تسامى إيمانه فحسبه وحسب دينه منه ، أن يفكر بقلبه ، ويخضع بعمله ، والخيرة كما يقولون ، فيما اختار الله .

هذا الفهم الخاطىء أضر بالإسلام من الكفر به ، لأنه إهدار لروح الإسلام ، ولأنه تمزيق بشع لكلمات الله ، وإيمان بآيات وكفران بآيات ، وعصيان صريح سافر لله ولرسوله .

والإسلام إما أن يؤخذ وحدة كاملة ، بعباداته وتشريعاته ، ومثله وآفاقه ، وحدة ربانية لا تتجزأ ولا يمسسها باطل ، ولا يدنوا منها لغوب ، وإما أن يترك كله ، حتى لا يصاب بالشلل والتشويه والجمود .

فمن أقام الصلاة وأبطل الجهاد ، فقد مزق الإسلام ومات ميتة جاهلية ، وعاش على شعبة من نفاق . هكذا علمنا الرسول الله ، وبهذا نادى القرآن .

الزكاء فريضة ، والحج فريضة ، وكفاح الغاصب فريضة مقدسة ، وكلمة الحق فريضة مقررة . فلا زكاة لمن استكان لمستعمر ، ولا حج لمن خنع لطاغية ، ولا تقوى لمن رأى حدود الله تنتهك ولم يقل فيها قولا ، ولم يرق فيها جهداً .

فسياسة الحكم ، وفنون الإقتصاد ، وحقوق الأفراد والجماعات من القضاء والقصاص ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومكارم الأخلاق ، والفضائل النفسية والعدالة الإجتماعية على اختلاف ضروبها وألوانها ، والحريات بكل

آفاقها ومعارجها ، أوامر إسلامية قرآنية من حاد عنها فقد بطلت صلاته وبطل حجه وصيامه .

« ... ومن لم يدع قول الزور وشهادة الباطل ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ... » .

يوم يفقه المسلم هذه المعانى . ويوم يدرك أن العبادة لا تنفصل عن التشريع ، وأن الإسلام لا يقوم بشق واحد ، ولا يحيا مفصول القلب عن الرأس ؛ يومئذ يفرح المسلمون بنصر الله ، ويومئذ تعود للدنيا راية الإيمان والإسلام والسلام .

---